

سلسلة
كن

كن خفياً

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.afilamontada.com



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة كُنْ

١٨

كُنْ عَفِيفاً

إشراف
عاطف عبد الرشيد

إعداد
مصطفى فهمي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّقَ الْمُسْلِمُونَ بِخُلُقِ الْعِفَّةِ،
إِذْ إِنَّهُ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ الْحَمِيدَةِ.

وَالْعِفَّةُ هِيَ أَنْ يَتْرَكَ الْإِنْسَانُ الشَّهَوَاتِ فَلَا يَصِيرَ عَبْدًا
لَهَا. وَيَدْعُونَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - إِلَى التَّحَلِّيِ بِالْعِفَّةِ فَيَقُولُ:
﴿وَلَيْسَتَعْفِفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
[النور: ٣٣].

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ
بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].
وَقَدْ حَذَّرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ عَدَمِ التَّعَفُّفِ؛ فَعَنْ أَبِي بَرزَةَ
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِيِّ فِي بُطُونِكُمْ
وَفُرُوجِكُمْ وَفَضَلَاتِ الْهَوَى" [أحمد].

وَالْعِفَّةُ تَأْجُ عَلَى رُؤُوسِ الصَّالِحِينَ، وَزَادَ فِي طَرِيقِ اللَّهِ
لِلسَّائِرِينَ، وَحَصَّنَ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

كُنْ عَظِيمًا

لَنْ تَكْتَمِلَ عِزُّهُ الْمُسْلِمِ وَكَرَامَتُهُ مَا لَمْ يَكُنْ عَظِيمًا مُتَعَقِّفًا.
وَمِنْ صُورِ الْعِفَّةِ الَّتِي نَدْعُوكَ إِلَيْهَا: الْعِفَّةُ عَنِ الزَّنى وَعَنِ
السُّؤَالِ وَعَنِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَعَنِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى.

كُنْ عَظِيمًا عَنِ الزَّنى

الزَّنى كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَشَدَّدَ عَلَى
عُقُوبَةِ فَاعِلِهَا، وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَفَّفَ عَنْهَا. يَقُولُ تَعَالَى:
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا
رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

* كُنْ مُلتَزِمًا بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنِ الزَّنى بِمَا يَلِي :

١ - الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ : الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - يَرْدَعُ كُلَّ
آثِمٍ يُرِيدُ أَنْ يَقْتَرِفَ الذُّنُوبَ وَالْآثَامَ، مِمَّا يُبْعِدُهُ عَنْهَا خَشْيَةً
لِرَبِّهِ. جَاءَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ إِلَى
الرَّسُولِ ﷺ وَسَأَلَهُ: مَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ
تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ" [متفق عليه].

٢ - غَضُّ الْبَصَرِ : النَّظَرُ الْمَحْرَمَةُ أَوَّلُ مَرَاحِلِ الزَّنى ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ وَخَفْضِهِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ . يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠] . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّنى مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَهُ ، الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالْأَذْنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرَّجْلُ زَنَاهَا الْخَطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ " [متفق عليه] .

٣ - تَجَنُّبُ الْخُلُوةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ : خُلُوةُ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ سَبِيلٌ مِنَ سُبُلِ الزَّنى ، فَمَا اجْتَمَعَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَّا وَكَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ ﷺ : " لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُم بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ " [متفق عليه] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ (غَيْرِ الْمُجَاهِدِينَ) يَخْلَفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ حَتَّى يَرْضَى " ثُمَّ التَفَتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : " مَا ظَنُّكُمْ ؟ " [مسلم] .

٤ - تَجَبُّ كَثْرَةُ الْكَلَامِ مَعَ النِّسَاءِ : الشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ الْمَعْصِيَةَ
لِلْإِنْسَانِ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الزَّنَى ، وَمَنْ مَدَاخِلَهُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ
يُغْرِيَ الْمَرْءَ بِالْحَدِيثِ إِلَى النِّسَاءِ وَيُحِبُّ ذَلِكَ إِلَيْهِ . يَقُولُ
تَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [التور: ٢١].

وَيُرَوَّى أَنَّ شَابًا عَابِدًا كَانَ بِالْكُوفَةِ (مَدِينَةِ الْعِرَاقِ)
فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيقِ ، وَقَالَتْ لَهُ : يَا فَتَى ، اسْمَعْ مِنِّي
كَلِمَاتٍ أَكَلِّمُكَ بِهَا . فَقَالَ لَهَا : هَذَا مَوْقِفُ نُهْمَةٍ ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ
أَكُونَ لِلنُّهْمَةِ مَوْضِعًا .

* ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنِ الزَّنَى :

١ - عِفَّةٌ نِسَائِكَ : إِذَا رَأَى الْمُسْلِمُ حُرْمَةَ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
حَفَظَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - نِسَاءَهُ وَجَعَلَ الْعِفَّةَ خُلُقًا يَلْتَزِمُ بِهِ . رَوَى
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : "بِرُّوْأِ آبَائِكُمْ ، تَبَرُّكُمُ أَبْنَاؤُكُمْ ،
وَعِفُّوْأُ ، تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ"

٢ - ظِلُّ عَرْشِ اللَّهِ : وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَعَفِّفِينَ مِنْ عِبَادِهِ
بِأَنْ يُظِلَّهُمْ بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "سَبْعَةٌ
يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ (وَذَكَرَ مِنْهُمْ) : وَرَجُلٌ
دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٣ - التَّشْبَهُ بِيُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : لَقَدْ ضَرَبَ لَنَا نَبِيُّ
 اللَّهُ يُوسُفُ أَرْوَاعَ مِثْلِ فِي الْعِفَّةِ عَنِ الزَّنى ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ
 مُشَابِهَاً لِنَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ؟! يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَى هُوَ فِي
 بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ
 اللَّهِ إِنَّهُ رَفِيقٌ أَحْسَنُ مَتَوَاتٍ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يُوسُفُ : ٢٣] .

كُنْ عَظِيضًا عَنِ السُّؤَالِ

السُّؤَالُ بِلَا دَاعٍ أَوْ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ ذِلَّةٌ وَمَهَانَةٌ ، وَبِنَاءٌ عَلَى
 ذَلِكَ فَإِنَّ عِزَّةَ الْمَرْءِ فِي تَعَفُّفِهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ مَا دَامَ غَيْرَ
 مُضْطَرًّا إِلَى ذَلِكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَوْ يَعْلَمُ صَاحِبُ
 الْمَسْأَلَةِ مَا لَهُ فِيهَا لَمْ يَسْأَلْ " [الطبراني] .

وَيَذْكُرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الْفِتْنَةَ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ رَبُّ
 الْعِزَّةِ : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
 أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ
 النَّاسَ الْكَافًا... ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

* كُنْ مُلتَزِمًا بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنِ السُّؤَالِ بِمَا يَلِي :

١ - الاستِعْفَافُ : عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ مَا اسْتَطَاعَ
بِأَنْ لَا يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْمَسْأَلَةِ ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنَ
الرِّزْقِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ السُّفْلَى (وَالْيَدُ
الْعُلْيَا هِيَ الْمُتَنَفِّعَةُ ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ)" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ] .

٢ - الاجْتِهَادُ فِي الْعَمَلِ : إِنَّ اجْتِهَادَ الْمَرْءِ فِي عَمَلِهِ
يَكْفِيهِ (يَمْنَعُهُ) عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، فَيَأْتِيَ بِحِزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى
ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا ، فَيَكْفِي اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ
النَّاسَ ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ" [البخاري] .

٣ - كَسْبُ الْيَدِ : أَوْضَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ خَيْرَ لُقْمَةٍ
يَطْعُمُهَا الْعَبْدُ مَا كَانَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ
يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا
فَقَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" [البخاري] .

٤ - أَلَّا تَكُونَ عِنَبًا عَلَى النَّاسِ : إِذَا أَكْثَرَ الْمَرْءُ السُّؤَالَ
أَصْبَحَ غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهِ مِنَ النَّاسِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عِنَبًا عَلَيْهِمْ . قَالَ
ﷺ : "لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ ،
حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُمَا جَمِيعًا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا بَلَاغٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَلَا

تَكُونُوا كَلَّا (عِبْنَا) عَلَى النَّاسِ [الدَّيْلَمِي]. فَلَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَفَرَّغَ الْمَرْءُ لِلْعِبَادَةِ وَلَا يَطْلُبُ الرِّزْقَ مِمَّا يَضْطَرُّهُ لِسُؤَالِ النَّاسِ.

* ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنِ السُّؤَالِ :

١ - الْغِنَى مِنَ اللَّهِ : يُغْنِي اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَنْ يَتَعَفَّفُ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ وَالْاِتِّكَالِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِمْ لَهُ. قَالَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : "وَمَنْ يَسْتَعِفَّفْ، يُعِفُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ، يُغْنِهِ اللَّهُ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٢ - حِفْظُ مَاءِ الْوَجْهِ : تَزْدَادُ كَرَامَةُ الْمَرْءِ وَعِزَّتُهُ مَا لَمْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَطَاءً أَوْ مُسَاعَدَةً، فَكَثْرَةُ السُّؤَالِ تُذْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ.

وَرَدَ أَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالسُّؤَالَ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ مَاءَ الْحَيَاءِ مِنَ الْوَجْهِ، وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا اسْتِخْفَافُ النَّاسِ بِكَ. وَنَصَحَ وَالِدٌ وَلَدَهُ فَقَالَ : إِيَّاكَ أَنْ تُرِيقَ (تَسْكُبَ)، مَاءَ وَجْهِكَ عِنْدَ مَنْ لَا مَاءَ فِي وَجْهِهِ.

٣ - الْقُرْبُ مِنَ النَّاسِ : الْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، يَكُونُ خَفِيفًا عَلَيْهِمْ، مُقْرَبًا إِلَيْهِمْ، ذَا قَدْرِ وَمَكَانَةٍ لَدَيْهِمْ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

مَنْ عَفَّ، خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ

وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوءٌ

وَأَخُوكَ مَنْ وَفَّرْتَ مَا فِي كَيْسِهِ
فَإِنْ عَشَّتَ بِهِ، فَأَلْتَ ثَقِيلُ

كُنْ عَظِيضًا عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ

أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ أَمَانَةٌ فِي رِقَابِ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا، وَلَا
يَطْمَعُ فِيهَا إِلَّا كُلُّ آثِمٍ بَعِيدٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا يَلِي :

١ - عَدَمُ أَخْذِ مَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ حَقٌّ : مِنْ طَمَعِ الْمَرْءِ أَنْ
يَنْظُرَ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ بُغْيَةً الاسْتِحْوَاذِ عَلَيْهِ وَامْتِلَاكِهِ.
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

[النساء : ٥٨]

وَيُرَوَّى أَنَّهُ فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ، أَتَى أَحَدُ الْجُنُودِ بَتَاجٍ
كَسَرَى وَسِوَارِيهَ (قطعتين من الذهبِ ثلبسان في الذراعين)،
وَلَمَّا وَضَعَ أَمَامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي أَدَّى إِلَيْنَا
هَذَا لِأَمِينٍ. فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ،
يُودُّونَ مَا أَدَيْتَ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا رَتَعْتَ (خُنْتَ الْأَمَانَةَ) رَتَعُوا (أَيِ
خَانُوا الْأَمَانَةَ أَيْضًا) فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ.

٢ - عَدَمُ اسْتِخْدَامِ الْأَشْيَاءِ الشَّخْصِيَّةِ لِلنَّاسِ : الْمُسْلِمُ
يَتَوَرَّعُ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْأَشْيَاءِ الشَّخْصِيَّةِ لِلنَّاسِ ؛ إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ
حَقٌّ فِي ذَلِكَ. يُحْكِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْعَادِلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ
كَانَ يَنْظُرُ فِي قَضَايَا الرِّعْيَةِ لَيْلاً عَلَى ضَوْءِ سِرَاجٍ ، فَجَاءَ غُلَامٌ ،
فَحَدَّثَهُ فِي أَمْرِ يَتَعَلَّقُ بَيْتِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - أَطْفِئِ السِّرَاجَ ، ثُمَّ حَدَّثَنِي لِأَنَّ هَذَا مِنْ بَيْتِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي أَشْغَالِ الْمُسْلِمِينَ. فَنَعَمْ
الْحَاكِمُ الْعَادِلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

٣ - الزُّهْدُ وَالْقَنَاعَةُ : مِنْ تَعَقُّفِ الْمَرْءِ عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ
أَنْ يَزْهَدَ فِي أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ إِرْضَاءً لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -

كَتَبَ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصُورُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ عَلَى دَفْعَاتٍ ، فَحَدَّثَتْ أَبَا حَنِيفَةَ نَفْسُهُ: كَيْفَ تَأْخُذُ كُلَّ
هَذَا الْمَالِ ، وَهُوَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. فَفَكَّرَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي حِيلَةٍ
لِيَرُدَّ هَذَا الْمَالِ ، فَذَهَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشَكَرَهُ عَلَى
صَنِيعِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي بَبْغَدَادَ غَرِيبٌ ، وَلَيْسَ
عِنْدِي مَوْضِعٌ أَضَعُ فِيهِ هَذِهِ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ ، فَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا
فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُهَا أَخَذْتُهَا. فَأَجَابَهُ
الْمَنْصُورُ إِلَى ذَلِكَ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ حَتَّى تُوفِّي أَبُو حَنِيفَةَ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ ذَلِكَ
 الْمَالِ شَيْئًا، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ: أَخَذَعَنَا أَبُو حَنِيفَةَ، ثُمَّ
 رَدَّ الْمَالَ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ:
 عَطَاءُ ذِي الْعَرْشِ خَيْرٌ مِنْ عَطَائِكُمْ

وَفَضْلُهُ وَاسِعٌ يُرْجَى لِمُتَّظِرٍ
 أَنْتُمْ بِكَدَرٍ مَا تُعْطُونَ مَتَّكُمُ
 وَاللَّهُ يُعْطِي بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ

* ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ :

١ - حِفْظُ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ : يَكُونُ ثَوَابُ الْمُتَعَفِّفِ عَنْ
 أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْفَظَهُ اللَّهُ وَلَا يُضَيِّعَ أَهْلَهُ وَذُرِّيَّتَهُ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : إِنَّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْ حَرَامٍ أَصْبَحَ
 مُضَيِّعًا لِنَفْسِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ مُضَيِّعًا لِدُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِهِ مِنْ أَكْلِ هَذَا الْمَالِ
 الْحَرَامِ، فَوَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْعَفِيفِ أَنْ يَتَحَرَّى الْحَلَالَ دَائِمًا.

٢ - عِزَّةُ النَّفْسِ : كُلُّ مَنْ يَحْفَظُ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا
 يَعْتَدِي عَلَيْهَا فَهُوَ إِنْسَانٌ عَزِيزُ النَّفْسِ، شَامِخُ الرَّأْسِ. قَالَ ﷺ:
 "طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ" [الطبراني والبيهقي].

٣ - شَكَرُ اللَّهِ : لَيْسَ أَدْلُ عَلَى شُكْرِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ مِنْ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ، فَيَسْتَغْنَى بِهِ عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي هُوَ مُسْتَأْمِنٌ عَلَيْهَا. قَالَ ﷺ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

كُنْ عَظِيمًا عَنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى

أَفْضَلُ التَّعَفُّفِ أَنْ يَتَعَفَّفَ الْمَرْءُ عَنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى فَلَا يَأْكُلُهَا بِالْبَاطِلِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنذُوا الَّذِينَ الَّذِينَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّكُمْ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: ٢].

* كُنْ مُتْلِزِمًا بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا يَلِي :

١ - أَكُلِ الْوَلِيَّ الْفَقِيرَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِالْمَعْرُوفِ : نَهَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، فَإِنْ كَانَ وَلِيُّ الْيَتِيمِ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِفْ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، فَلْيَأْكُلْ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِالْمَعْرُوفِ دُونَ إِسْرَافٍ. عَنْ عَمْرِو بْنِ شَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي يَتِيمًا عِنْدَهُ مَالٌ، وَلَيْسَ لِي مَالٌ. فَهَلْ أَكُلُ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: "كُلْ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ مُسْرِفٍ" [ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ].

٢ - رَدُّ الْمَالِ إِلَى الْيَتِيمِ : أَفْتَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ أَنَّ مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، وَكَانَ فَقِيرًا، ثُمَّ أَصْبَحَ غَنِيًّا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ مَا أَخَذَهُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ عَلَى سَبِيلِ رَدِّ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا.

٣ - إِفْتِنَاغُ النَّفْسِ عَلَى الرِّضَا بِالْحَلَالِ : الْمُسْلِمُ يُرَغَّبُ نَفْسُهُ فِي الْحَلَالِ وَيُقْنَعُهَا بِالْمُبَاحِ بَدَلًا مِنَ الْمَمْنُوعِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : مَا أَمَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ، إِلَّا وَأَعَانَ عَلَيْهِ، وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ، إِلَّا وَأَغْنَى عَنْهُ.

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ الْعِفَّةِ عَنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى :

١ - النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ : تَكُونُ نَجَاةُ الْمَرْءِ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَقَارَبَتِهِ الْحَرَامَ لِأَنَّهُ ذَنْبٌ عِقَابُهُ النَّارُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "كُلُّ لَحْمٍ تَبَّتْ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ" [متفق عليه].

٢ - دُخُولُ الْجَنَّةِ : أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ بِنِعْمِهَا الْمُقِيمِ لِلْمُتَّقِينَ وَلَاوْلِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ، فَيَتَعَفَّفُونَ عَنْ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ بِالْبَاطِلِ. قَالَ ﷺ : "أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ... وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ" [مُسْلِم].

٣ - عَدَمُ التَّشْبُهْ بِالْكَفَّارِ: لأنهم اعتقدوا أَنَّهُ لَا حِسَابَ لَهُمْ، وَنَسُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَعَذَابَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

٤ - التَّرْفُعُ عَنِ الدُّنْيَا: الْعِفَّةُ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ عِزَّةُ النَّفْسِ وَتَرْفُعُهَا عَنِ الدُّنْيَا، وَهِيَ صِفَةٌ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا عَنِ الصَّغَائِرِ، وَتَجْعَلُهُ يَتَرَفَّعُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ الرَّخِيسَةِ، وَيُقَاوِمُ دَوَافِعَ الشَّرِّ فِي نَفْسِهِ، وَيَثُورُ عَلَى كُلِّ مَا يَقِفُ فِي سَبِيلِ رُبِّيَّةٍ، وَتَقْدُمِ أَمَّتِهِ [أَدَبُ الْإِسْلَامِ].

لَا تَكُنْ مُتَّبِعَ الْهَوَى

الْهَوَى هُوَ اتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ، وَعَدَمُ ضَبْطِ النَّفْسِ أَمَامَهَا، فَالْهَوَى مَانِعٌ عَنِ الْخَيْرِ وَمُضَادٌّ لِلْعَقْلِ، لِأَنَّهُ يَأْتِي ضِدَّ الْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهَوَى إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

١ - إِبْلِيسُ - عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ -: هُوَ أَشْهَرُ الْمُتَخَلِّقِينَ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى، فَلَمْ يَكُنْ عَاقِلًا وَلَا مُتَعَفِّفًا، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ الزَّائِغِينَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَقَدْ اتَّبَعَ الْكِبْرَ وَرَفَضَ

السُّجُودَ لَادَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧].

٢ - جَزَاءُ الظَّالِمِينَ: إِذَا نَجَحَ الشَّيْطَانُ فِي إِغْوَاءِ الْمَرْءِ فَيَتَنَكَّرُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَكُونُ جَزَاءُ الْعَبْدِ الضَّالِّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مَعَ إِبْلِيسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فَكَانَ عَقِيبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿[الحشر: ١٦ - ١٧].

اعْرِفْ نَفْسَكَ.. هَلْ أَنْتَ عَظِيمٌ؟

وَبَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ لِخُلُقِ الْعِفَّةِ، هَيَّا بِنَا نَتَعَرَّفْ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْ خِلَالِ الْإِجَابَةِ الصَّادِقَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ.

١ - هَلْ تَغْضُّ بِصَرَكَ عَنْ مَحَارِمِ الْمُسْلِمِينَ؟

٢ - إِذَا أَرَادَتْ فِتْنَةٌ غَرِيبَةً عَنْكَ تَخْلُو بِكَ فَهَلْ تُوَافِقُهَا عَلَى ذَلِكَ؟

٣ - هَلْ تَجِدُ مُتَعَةً فِي الْحَدِيثِ مَعَ النِّسَاءِ؟

٤ - هَلْ تَعْرِفُ قِصَّةَ سَيِّدِنَا يُوسُفَ مَعَ زَوْجَةِ الْعَزِيزِ؟
وماذَا تَسْتَفِيدُ مِنْهَا؟

٥ - هَلْ تُحِبُّ الْعَيْشَ مِنْ كَسْبِ يَدِكَ؟

٦ - كَيْفَ يَحْفَظُ الْمَرْءُ مَاءَ وَجْهِهِ؟

٧ - هَلْ تَزْهَدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ؟

٨ - إِذَا كُنْتَ تَقُومُ عَلَى رِعَايَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ، فَهَلْ تَأْخُذُ
مِنْهَا دُونَ اسْتِئْذَانِهِمْ؟

٩ - مَا رَأَيْكَ فِي مَنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِالْبَاطِلِ؟

١٠ - بِمَ تَنْصَحُ فَقِيرًا يَقُومُ عَلَى مَالِ يَتِيمٍ مِنْ يَتَامَى
الْمُسْلِمِينَ؟

*** **

سلسلہ کن

- ۱- کن امیناً ۱۳- کن طائعاً ۲۵- کن متفائلاً
- ۲- کن باراً ۱۴- کن صادقاً ۲۶- کن متوکلاً
- ۳- کن تائباً ۱۵- کن عادلاً ۲۷- کن محباً
- ۴- کن حلیماً ۱۶- کن عزیزاً ۲۸- کن مخلصاً
- ۵- کن حییاً ۱۷- کن عفواً ۲۹- کن مستقیماً
- ۶- کن راضیاً ۱۸- کن عفیضاً ۳۰- کن مشاوراً
- ۷- کن رحیماً ۱۹- کن کتوماً ۳۱- کن مضحیاً
- ۸- کن رفیقاً ۲۰- کن کریماً ۳۲- کن معتدلاً
- ۹- کن زاهداً ۲۱- کن مؤثراً ۳۳- کن نصوحاً
- ۱۰- کن شاکراً ۲۲- کن متأنیاً ۳۴- کن ورعاً
- ۱۱- کن شجاعاً ۲۳- کن متعاوناً ۳۵- کن وفیاً
- ۱۲- کن صابراً ۲۴- کن متواضعاً